شفاء العلة وابراء العليل . وهكذا نحن الآن في وقوفنا امام المدارس موقف الناقد الملاحظ يترتب علينا فوق الضبط والتدقيق الأخذ بكل مايحوم عليهِ طائر الفحص من الاسباب التي تنطبق عليها اعراض تأخر اولادنا مهما تناهت في الصغر . والتعلق بجميع ما يتصل اليهِ رائد الامتحان من العلل التي مثلنا لنا يد الاختبار بعد شدة التأمل وطول امعان النظر . حتى اذا احطنا علمًا بجميع مافي مدارسنا من اسباب التقصير وجمعنا اليها مانشاهدهُ في سباتنا بعد خروجهم من المدارس جلسنا نتجاذب البحث في قطع دابرها . ونقلب الفكر في استنباط الوسائط للاستعانة بها عن آخرها . ولانعوز المريد قوة النظر في ما هو حري بالاستبصار جدير بالتدبير بعد الاتكال عليهِ تعالى انهُ على كل شيء قدير

وسأجعل الكلام شاملاً جميع مدارسنا التي تُعلَّم فيها العلوم باللغة العربيَّة من " بسيطة " " وعالية " خارجيَّة وداخليَّة وطنيَّة واجنبيَّة وما يجيء في اثنائهِ مخصوصًا بقسم منها فذلك لا يعدم من جانبهِ قرينة تدل عليهِ . ولمحة تشير اليهِ . واما المدارس التي لا تعلم اللغة العربيَّة او تعلمها بالاسم فقط فهي وان كانت من اهميَّة البحث بمكان . ليست في شيء من موضوعنا الآن . وفي كلامنا عن مدارسنا — موضوع هذا البحث — نقصر النظر على ثلاثة اشياء وهي كتب التعليم والمعلمون ورؤساء المدارس ستأتي البقيَّة

نبذة من تاريخ المعارف في الصين

بقلم جناب قسطنطين افندي نوفل

مذ حسر القناع عن محيَّا التواريخ الصينيَّة علم ان للصين الفضل الاول في اكتشاف بعض الحقائق والاسرار الطبيعية فقد روى المؤرخون الصينيون ان احد ملوكهم الذي نشأ في سنة ٢٦٩٨ ق . م . كان عندهُ مركبة بديعة الشكل تشير الى جهات الارض الاربع بكل دقة فيعلم الملك حين يركبها الجهة التي يقصدها . وذلك يدل على ان الصين قد سبقت اوربا بزمن مديد الى اختراع الابرة المغنطيسيَّة وما يؤيد ذلك انهُ عند دخول البرتغاليين بلاد الصين وجدوا عددًا عظيمًا من المراكب التجاريَّة وراوا ربانا يستخدم بوصلة ذات ربع دائرة وخارتات جغرافيَّة

وعرف الصينيون الطباعة قبل الافرنج ايضاً وفي مكاتبهم اسفار من القرن العاشر واقدم جريدة انتشرت في العالم انتشت في پاكين سنة ٩١١ للميلاد . اما كيفية الطبع عندهم فهكذا : ينسخ الوجه المراد استحصال نسخ عديدة عنهُ بخط حسن على ورق رقيق جداً يستعمل لهذه الغاية ويلصق بلوح من الخشب الصلب طلي بماء الارز فتظهر الحروف جيداً وهي منعكسة لشفافة الورق فياخذ النقاش بحفر الخشب الخالي من الكتابة بادوات متنوعة وتم ذلك بغاية النظافة والسرعة وانما يلزم للكتاب الواح خشبية بقدر عدد اوجهه الاَّ ان المؤلف يحفظ عندهُ هذه الالواح المنقوشة ليعيد طبع الكتاب كلما اراد . والطبع سهل فيطبع الرجل الواحد التي نسخة في اليوم والطباعون جوَّالون بادواتهم كباقي الباعة . أما الطبع بالحروف المنفصلة فاخترعهُ رجل صيني قبل جيتنبرج بخمسة قرون ولا يستعمل الاَّ في رزناماتهم وما كان مختصراً مثلها لان لكل كلمة من كلمات لغتهم صورة خاصة بها فحروفهم بقدر كلمات لغتهم . اما الآن فقد سكب لهم الفرنسويون حروفاً متفرقة رغماً عن كل صعوبة في استعمالها

وقد وجد البارود والمدافع في الصين قبل التاريخ المسيحي واخترع الصينيون غير ذلك من المواد الالتهابية والمتفرقعة وروي انهُ كان عندهم معمل للنار اليونانية او ما يشابهها وقد وجد المرسلون في الصين مدافع مركبة من قطع من الحديد المطروق توضع القطعة منها بجانب الاخرى كالالواح البراميل وتضمها اطواق حديدية قربة بعضها من بعض . اما البارود المستعمل في الصين فقد حللهُ احد علماء الانكليز فوجد انهُ يقارب البارود الانكليزي وانما عيبهُ ضعف قوتهِ وقلة التهابهِ لعدم نقاوة الاجزاء التي يركبونهُ منها

وعلم الهيئة معروف في بلاد الصين منذ زمان قديم اكثر من كل العلوم وقد علموا قبل التاريخ المسيحي تسطيح قطبي الارض واخبروا عن الكسوف والخسوف . ويحكى ان الامبراطور كانج هي الذي كان يقدر الاوربيين قدرهم اضاف الى الآلات مرصد پاكين القديمة الآلات افرنجية واراد ان يلغي استعمال الآلات الصينية التي في المرصد ويبدلها بآلات حديثة اوربية فقاومهُ مقاومة المجلس الذي يشتغل بالفلك اشد المقاومة . اما الكيميا والفلسفة الطبيعية والطب فيجهلها الصينيون بعض الجهل رغماً عن كثرة تآليفهم وكتاباتهم عن خاصيات الاجسام وتركيبها لان تلك الكتابات مبهمة وغير مرتبطة ومع كل ذلك لا يعلم كيف توصلوا الى معرفة امور صناعية نافعة لا بدَّ ان تكون نتيجة تجارب اعتصموا في استخراجها بالصبر كوجود البارود والانوار الصناعية المختلفة الالوان والزجاج الملون

والعويبات والخزف وكثير من التجويزات الطبية كالكلوريد الزئبق وسلفات الحديد وسلفات الصودا وغيرها . والاطباء في الصين يجهلون بتر الاعضاء ويعدون ذلك من الجرائم التي لا تغتفر وعندهم ان الامراض التي تقع في القسم الاعلى يشفيها قسم النبات الاعلى والتي تقع في القسم الاسفل يشفيها قسم النبات الاسفل . ومما امتاز به الصينيون في فن الطب معرفة النبض معرفة كاملة وقد ألف الامبراطور هوانغ تي مقالة في ذلك منذ اربعة آلاف سنة وهم يعتبرون النبض اساسًا للطب . وفي كانتون كثير من الافرنج الذين يتركون اطباء بلادهم ليتأسون عند الاطباء الصينيين اذا اصيبوا بالبرداء او بالدوسنطاريا المستعصية . وقد عرف الصينيون دوران الدم قبل هرفي وتشهد بذلك كتبهم التي ما زالت تهزأ بمرور السنين وهي تزيدنا عجبًا اذ تميز بين الدم الشرياني والوريدي وتذكر نصائح وارشادات لحفظ الصحة . وللاطباء في الصين حيل شتى لاكتساب المال وهم يشتغلون بالتنجيم ويهتمون بمعرفة الشراب المخلد وهو عندهم بمثابة حجر الفلاسفة وليس عندهم ادوية فعمة وانما عندهم علاج للكوليرا يخبع فيها احيانًا وهو وضع اخمص المصاب على حديد محمى بالنار . والصين خالية من داء النقطة والحصاة وبما ان هذين المرضين يندران ايضًا في اوربا حيث يشرب الشاي بكثرة فقد يكون لهذا النبات خاصة لمنع هذين المرضين

والظاهر ان الصينيين لم يشتغلوا كثيرًا بالجبر والهندسة وما يعرفونه الآن منهما فقد تعلموه من المرسلين ومع ذلك قد اشتغلت لجنة منهم في ملك الامبراطور هيوان تسون نحو ٢٣٠ سنة ق . م . في علم تخطيط الاراضي والمساحة ولكن عدم كمال الآلات لم يبلغهم المنى وفي سنة ١٧٠٠ امر خان هي المرسلين ان يرسموا له خارتات للمملكة ثم عرض عليهم رسالات وخارتات جغرافية تدل انها قبل التاريخ المسيحي بعشرة قرون وهي مطولة جدًا بنوع انها تظهر حدود كل مالك بن العقارات في الامبراطورية وهي شاهد عدل على من يتعدى على املاك غيره . وفي الصين جغرافية من عهد المنجيين سنة ١٣٥٠ بعد المسيح واخرى قديمة وحديثة بها مقابلة بين الصين في ايام الهويين سنة ٢٢٠٥ ق . م . وبين كل سلالة بعدهم الى الاخيرة

اما فن الموسيقى فالصينيون مولعون به جدًا وينسبون اختراعه الى ملكهم فوهي بقبل هوانغ تي وعندهم الآت عديدة مختلفة من ذوات الاوتار والنفخ ومنذ نصف قرن تقريبًا اختلسوا بعض مبادئ الموسيقى من الانكليز الذين كانوا يقطنون كانتون دون أن يعزوها الى الاوربيين

اما فيما يختص بالرسم والتصوير فالصينيون يجهلون تصوير الخيال والضوء والظلمة والظاهر انهم لا يعرفون مبادئ الاظلال اذ ان تصاويرهم تحط في قدرهم . وغالب هذه التصاوير لا يظهر بها سوى اليدين والوجه وما بقي من الجسد يستتر بغاية الاعتناء لتحريم التعري عندهم ويروى انهُ من خمسين سنة دخل احد منهم سفينة فرنسويَّة على متنها تمثال مريتون ابن نبتون معبود البحر وهو معرّى فعارض البوليس الصيني دخول السفينة ولكن الربان غطى التمثال في الحال حبًّا بالسلام ومنعًا للخصام

هذا طرف مما وصلت اليهِ بلاد الصين قبل التاريخ المسيحي وبعضهُ اقتطفتهُ من اشهر الكتب والرسائل الموضوعة في هذا المبحث

اصل هنود اميركا

لم يختلف الكتَّاب في اصل شعب من الشعوب كما اختلفوا في اصل هنود اميركا . وقد كثرت علينا مسائل السائلين عن اصلهم وكنَّا نؤجلها من وقت الى آخر او نجيب عنها جوابًا متقضبًا على امل ان نتشئ مقالةً ضافيةً في هذا الموضوع نضمّنها زبدة ما قالهُ الباحثون فيهِ . الاَّ اننا وقفنا في هذه الاثناء على مقالة وافية بالغرض لاحد العلماء الاميركيين الذين يوثق بهم فاقتطفنا منها ما يأتي

لما اكتشف الاوربيون اميركا وجدوها مأهولة بشعوب مختلفة تعتقد انها وُجِدَت فيها منذ الازل ولا تعرف لها وطنًا غيرها . ومناد الاخبار التي بلغت اوربا حينئذٍ عن هؤلاء الشعوب انهم متوحشون يعيشون على الجذور والبقول وما يصطادونهُ من الوحوش وهم في حروب متواصلة بعضهم مع بعض . وحقيقة الامر انهم كانوا ارقى من كل الشعوب المتوحشة وبعضهم كان سائرًا في الطريق الموصل الى العمران . فكانوا يعرفون الغزل والحياكة والصباغة ويحوكون الانسجة من الياف النبات وصوف المواشي وريش الطيور . ويستخرجون النحاس ويطرقونهُ ويصوغون منهُ الحلى ويصنعون الادوات . واهالي المكسيك والبيرو منهم كانوا يستخرجون الذهب والفضة والنحاس وقال البعض انهم كانوا يصنعون البرنز ايضًا من النحاس والقصدير

وكان اكثير منهم المام بالفلاحة وهم الذين ربوا الذرة الهنديَّة وكانوا يعتمدون